دراسة لغوية اجتماعية مقارنة لشواهد القبور في مدينتي النجف وقم

الدكتور حسين تک تبار فيروزجائي [1] ـ الدكتور مهدي مقدسي نيا [2] ـ رحيم الدراجي [3]

الملخص

يحاول الباحثون في هذه الدراسة مقارنة شواهد القبور في مدينتي النجف وقم وذلک بغية الوصول إلى الفوارق الموجودة بينهما. هذا البحث الذي اعتمد على الأسلوب الوصفي التحليلي المقارن، يدرس ما يقارب ١٠٠٠ شاهد قبر، نصف منها في مدينة النجف والنصف الآخر في مدينة قم تضم شواهد قبور عموم الموتى.

ما توصل إليه الباحثون يدل على أن شواهد القبور في مدينة النجف تشبه تقريرا بحتا ويطغى الجانب الديني والنصائحي عليها كما أنها تخلو من أية معلومات عن الحالة الاجتماعية للمرحوم أو المرحومة حيث يمكن القول بأن شواهد القبور في مدينة النجف قريبة جدا من النموذج الكلاسيكي والتقليدي لشواهد القبور الإسلامية في القرون السابقة غير أن شواهد القبور في مدينة قم تزخر بالمشاعر والاحاسيس وتعكس مدى الأسف والحزن اللذين يبديهما الأحياء تجاه أعزائهم المرحومين/ المرحومات. أما الجانب الديني فيها يكاد أن يكون باهتا غير أنها لا تخلو منه.

الكلمات الرئيسة: شواهد القبور، الموت، دار السلام، النجف، قم

١ ـ المقدمة

شاهد القبر هو ما يوضع على القبر يضم نصا قصيرا يكرم ويمجد المتوفى. يتم تحديد ما يكتب على الشاهد من قبل الشخص نفسه قبل وفاته، وفي حين آخر، يختاره المسؤولون عن الدفن. ما يدرج على شواهد القبور قد يكون مكتوبا نثريا أو شعريا.

---

[1] ـ الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

[2] ـ الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قم

[3] ـ ماجستير اللغة العربية وآدابها ـ خريج جامعة قم

تعتبر المكتوبات على شواهد القبور وسيلة لتخليد ذكرى المتوفى كما أنها تعكس آراء الأحياء حوله. كما يقول اندرسون، وميلز، ودونفى (٢٠١١) شواهد القبور عبارة عن صورة فوتوغرافية لليوم الذي فارق المتوفى الدنيا ليترك التفسير للأجيال القادمة.

بما أنه لا يمكن أن يدرج جميع ما يتعلق بحياة الشخص من المعلومات على شاهد قبره، يقتصر أقرباء المتوفى بما يعتبرونه الأهم. فمن هذا المنطلق، توفر دراسة شواهد القبور فرصة للكشف عن رؤية المجتمع الذي ينتمي إليه المتوفى كما أن أية دراسة مقارنة لشواهد القبور في مجتمعات مختلفة تزودنا بمعلومات قيمة عن التنوع الفكري الموجود في العالم. نظرا إلى أن المجتمع العراقي والايراني لهما قواسم دينية وثقافية مشتركة، فيعتبر الخوض في الحديث عن شواهد القبور فرصة لإزالة الستار عن الفوارق الموجودة في رؤية المجتمعين إلى هذا الحادث المهم في حياة البشر ولذلک فضل الباحثون أن يقوموا بمقارنة أهم ما تم تسجيله على شاهد القبر. الأسئلة التي تحاول الدراسة هذه الكشف عنها هي:

١ ـ هل المعلومات المدرجة على شواهد القبور في مقبرتين متشابهة أم هناک تفاوت بينهما؟

٢ ـ بما أن الدين هو الوحيد الذي يعطي صورة عما يحدث في العالم الآخر، هل له انعكاسات في هذه الصفحة الحجرية؟

٣ ـ ما هي المعلومات التي يراها الشعبان مميزة لشخصية المتوفى وجديرة بالإبراز؟

٢ ـ سابقة البحث

مما لا شک فيه بأن الغرب كان سباقا في دراسة شواهد القبور واجتاز الباحثون الغربيون مراحل مختلفة في بحوثهم حيث تحولت الشواهد هذه من أشياء أثرية إلى مصادر هامة لدراسة مختلف التطورات الاجتماعية والانثروبولوجية.

تقدم لنا الباحثة الينا فيليا (٢٠١٣) قائمة عن البحوث التي نشرت عن شواهد القبور في دول كرومانيا، روسيا، بولندا وليتوانيا حيث تصنف الدراسات تصنيفا زمنيا وذلک في أربعة مراحل. المرحلة الأولي وهي التي بدأت في القرن التاسع عشر وأوائل قرن العشرين حيث كان جل اهتمام الدارسين جمع النصوص المكتوبة على شواهد

القبور الموجودة في المقابر والكنائس. في المرحلة الثانية والتي امتدت بين الحربين العالميتين، ألقى الدارسون الضوء على الأبعاد الدينية لشواهد القبور غير أنهم وفي المرحلة التالية التي تزامنت مع بداية ستينات القرن الماضي، استخدموا شواهد القبور كمصادر مهمة للكشف عن الحياة الإجتماعية. المرحلة الرابعة أصبح أنثروبولوجيا الثقافية والتاريخية محل اهتمام الباحثين.

لم تكن الأبحاث المنجزة حول شواهد القبور لتقتصر على الاتجاهات التالية فنظر الباحثون إليها من زوايا مختلفة منهم من ركز على الاستعارات المتعلقة بالموت في دراسته وسلط الضوء على الاستعارات المفاهيمية المكتوبة على شواهد القبور كدراسة قام بها كرسبو فرناندز (٢٠١١) عنوانها «الاستعارات المفاهيمية المكتوبة على شواهد القبور في مقبرة هايغيت» حيث أشار الكاتب إلى أن هذه الاستعارات تحاول لتقديم صورة ايجابية عن الموت لتساعد أقرباء الموتى في قبول الواقع والتعامل معه بشكل أسهل.

هناك من درس الموضوع من منظور دياكروني، حيث يحاول الباحث (هرات، ٢٠١٤) أن يتابع التطور الذي حدث في موقف الناس تجاه الموت، والدين، وكيفية التعريف بالمتوفى بين القرنين التاسع عشر والعشرين حيث فحص «هرات» ٩٥٧ شاهد قبر من القرنين وصنفها وقفا لعمر المتوفى وتوقيت الوفاة. ما وصل إليه الباحث يشير إلى أن تغييرات طرأت في الأسلوب اللغوي ومواقف الناس تجاه الموت وخاصة فيما يتعلق بوفاة الطفل حيث أصبح التعامل مع وفاة الطفل ـ في القرن العشرين ـ تحديا أكبر للأباء والأمهات مقارنة بما كان في القرن التاسع عشر. كما أن النتائج تدل على أن تأثير الدين تقلص في القرن العشرين مقارنة بما كان في القرن الذي سبقه.

فيما يتعلق بالدراسات التي نشرت باللغة العربية عن شواهد القبور في البدان العربية يمكن الإشارة إلى دراسات تطرق فيها الباحثون إلى شواهد قبور ترجع إلى مختلف العصور الإسلامية منها كتاب «شواهد القبور الأيوبية والمملوكية في مصر» (عبدالحميد، ٢٠١٣)، و«النقوش الكتابية على شواهد القبور الإسلامية» (خير الله، ٢٠٠٧)، و«شواهد القبور في دار الآثار الاسلامية بالكويت» (الزيلعي، ١٩٨٩)

تضم الكتب المذكورة أعلاها مجموعة من الصور عن شواهد القبور غير أن اهتمام الكتاب مقتصر على جمع الصور. فبعبارة أخرى، نحن في المرحلة الأولى من دراستنا لشواهد القبور وعلى الباحثين أن ينتقلوا إلى مراحل جديدة في بحوثهم.

هناك دراسات قليلة عن المقابر الموجودة في ايران تطرق القائمون بها إلى تحليل شواهد القبور سيميائيا منها بحث تطرق إلى الصور والنقوش المحفورة على شواهد القبور في مقبرة «تخت فولاد» بمدينة أصبهان. (صفي خاني،

احمد پناه و خداداي، ١٣٩٣) وصل الباحثون في الدراسة المذكورة أعلاها أن النقوش المرسومة على شواهد القبور لا تستخدم لتزيين القبور فحسب بل إنها تعتبر رموزا تقدم معلومات عن المتوفى.

كما أشير آنفا ان عدد الدراسات العربية والفارسية لشواهد القبور قليلة وتكاد تكون مقتصرة على جمع صور الشواهد وقراءة المتن. فيمكن القول بأن حصة شواهد القبور من الدراسة حصة ضئيلة. أما ما يميز الدراسة هذه أنها تدرس الموضوع دراسة مقارنة وذلک بغية كشف الفوارق بين عينات تم جمعها من مقبرة وادي السلام والمقابر الموجودة في مدينة قم وهذا موضوع لم نجد من يسبقنا فيه. هذه الدراسة يمكن أن تشكل سابقة جديدة ومهمة تقود الباحثين نحو القيام بدراسات مقارنة في المجال هذا.

٣ ـ مقبرة وادي السلام

تكسب مقبرة وادي السلام أهميتها من ضمها للجسد الطاهر لسيد الأوصياء أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وهناک الكثير من الأحاديث والمرويات عن أهل البيت تشير إلى فضيلة الدفن في تربتها. لفتت مقبرة وادي السلام والأهمية التي يوليها الشيعة لها انتباه الكثير من الكتاب منهم ماسنيون (٢٠٠٧) و نقاش (٢٠٠٩) اللذان أكدا على قدسية هذه المقبرة عند أتباع الطائفة الشيعية.

يقول ادور سابليه (١٩٨٥، ٤١) أن أمنية كل شيعي هي أن تدفن جثته بعد موته في الأرض المقدسة بجوار مراقد الائمة في مشهد والأفضل في النجف أو كربلاء وتوجد قوافل مختصة بنقل جثث الموتى إلى تلک النواحي.

تشير المصادر التاريخية الموجودة بأن السلطات المحلية في كربلاء والنجف والكاظمية كانت تتقاضى من ناحيتها حق الدفن الذي تتراوح قيمته حسب درجة قدسية المكان الذي يتم اختياره. ٥٠٠٠ بيزة للجثة التي تدفن في الحرم المقدس في كربلاء والنجف. (الحسيني، ٢٠٠٠، ٢٧٤) كما أشارت الكاتبة البريطانية «المس بيل» إلى أنه في شتاء عام ١٩١٩ سمع خبر نقل الجثث من بغداد ودفنها في النجف. (المس، ١٩٧١، ٣٤٢)

تستنتج من هذا كله إن للدفن في النجف الأشرف أهمية كبيرة في الجانب الديني وهذا ما نرى تأثيره فيما يسجل من الأشعار على شواهد القبور.

١ ـ ٣ ـ شواهد قبور الرجال في مقبرة وادي السلام

يمكن تقسيم العبارات التي تظهر على شواهد القبور في مقبرة وادي السلام إلى قسمين. القسم الأول ما يتم ذكرها على جميع شواهد القبور والقسم الثاني ما يخص ظهورها على شاهد قبر دون آخر.

١ ـ ١ ـ ٣ ـ العبارات العامة

تبدأ شواهد قبور الرجال بالنصوص القرآنية التي تستعمل بذكر الموت، وذكر الآخرة، وذكر الرحمة الالهية، والآيات التي تذكر بالفناء وان البقاء والخلود لله تعالى فقط. ومن هذه الآيات:

الآية	تكرارها
كل من عليها فان	٢٠٤
ان وعد الله حق	١٠١
إنا لله وإنا إليه راجعون	٨٧
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون	٥٠
هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا	٢٣
تبارک الذي بيده الملک وهو على كل شيء قدير	١٦
توكل على الحي الذي لا يموت	١٤
ان المتقين في جنات و عيون	٥

تشير دراسة شواهد القبور إحصائيا إلى استخدام آية «كل من عليها فان» بشكل أكثر حيث تليها بقية الآيات حسب المخطط التالي:

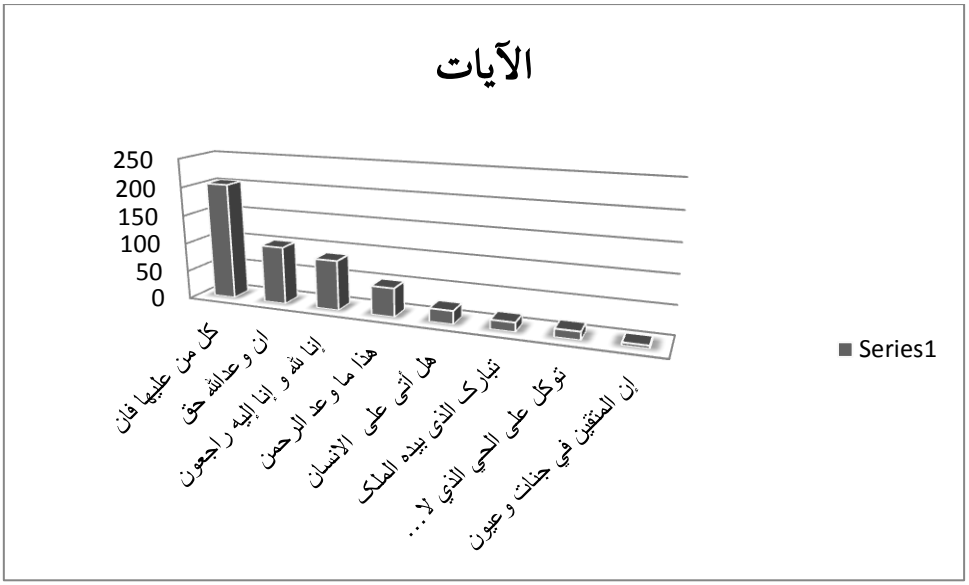

يوحي اختيار هذه الآيات إلى فناء الانسان والدنيا وبقاء وجه الرب. الجدير بالذكر أن آية «إن المتقين في جنات وعيون» تم استخدامها للكتابة على قبر العلماء حيث يرى أقرباءهم أن لهم مقام محمود عند مليك مقتدر. بعبارة أخرى، يعتقد الأحياء أنهم يمثلون «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ولذلك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ثم تليها كلمة «المرحوم». فقبل ذكر اسم المرحوم، تأتي كلمة توصيفية مثل «الشيخ، السيد أو الحاج» ثم يذكر اسم المرحوم وسنة وفاته.

٢ ـ ١ ـ ٣ ـ العبارات الخاصة

لقد عثرت شواهد قبور للرجال في النجف، تم فيها ذكر مهنة المرحوم غير أن الإشارة إلى مهنة المرحوم وشغله لم يكن أمرا شائعا حيث كان ينحصر على عدد قليل من شواهد القبور ولا يتجاوز هذا العدد عن ٤٦ من أصل ٥٠٠ شاهد قبر.

المهن التي رأتها عائلة المرحوم أو أقربائها جديرة بالإدراج على شواهد القبور تشمل كلا من الهندسة والطب والتدريس في الجامعة والمدرسة.

الشغل	التكرار
الطب	٢١
التدريس في الجامعة	١٢
التدريس في المدرسة	٩

الهندسة	٨

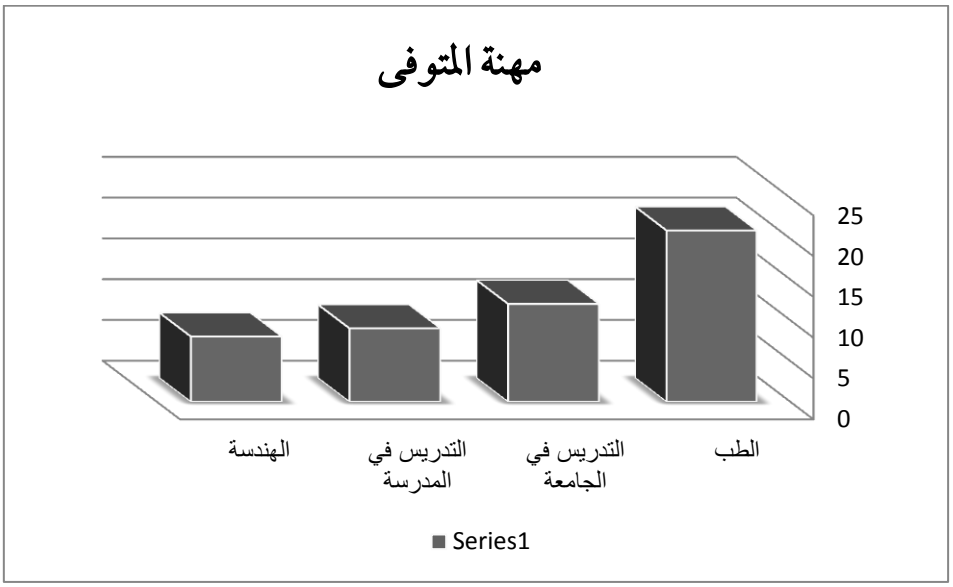

يعتبر سبب الوفاة من المعلومات التي لا تظهر على جميع شواهد القبور. أسباب الوفاة المذكورة على شواهد القبور تشمل كلا من الاصطدام بالسيارة أوالإصابة بمرض أوالاعدام على يد النظام. تتوزع هذه الأسباب كما يلي:

سبب الوفاة	عدد الشواهد
الإعدام على يد النظام المخلوع	٤٧
الإصطدام بالسيارة	٥
الإصابة بمرض	٣

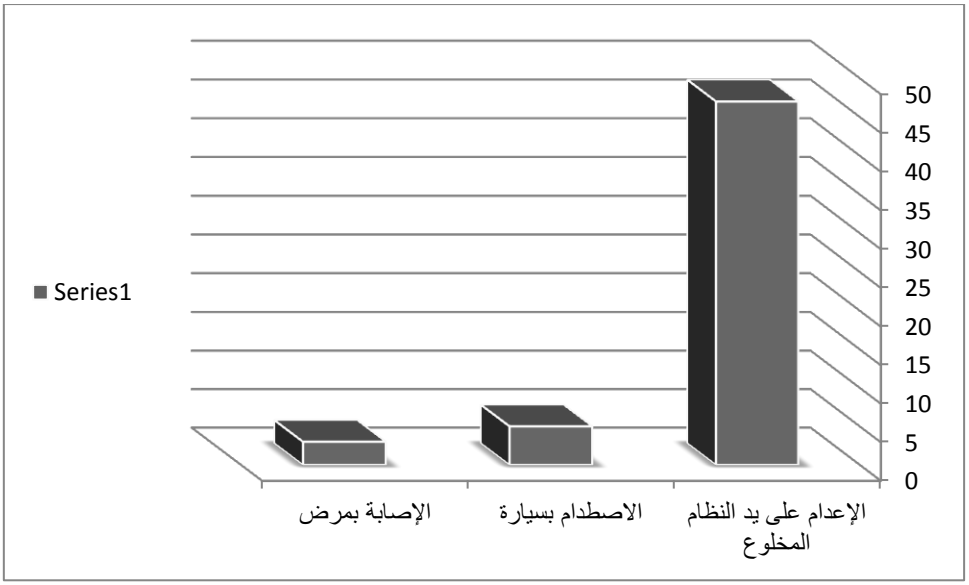

٣ ـ ١ ـ ٣ ـ الأشعار المسجلة على شواهد القبور

هناك من شواهد القبور ما يضم أبياتا وقطع شعرية قصيرة. فهذه الابيات عادة تمثل رؤية الناس إلى حياة الدنيا والآخرة و تكاد أن تختزل في عدة مواضيع أهمها: شفاعة علي بن ابي طالب، الموعظة والتحسر على فقدان شاب، تتوزع حسب ما يلي:

الموضوع	عدد الشواهد
شفاعة علي بن ابي طالب	١٢٧
الموعظه	١٠٩
التحسر على وفاة الشاب	٢١

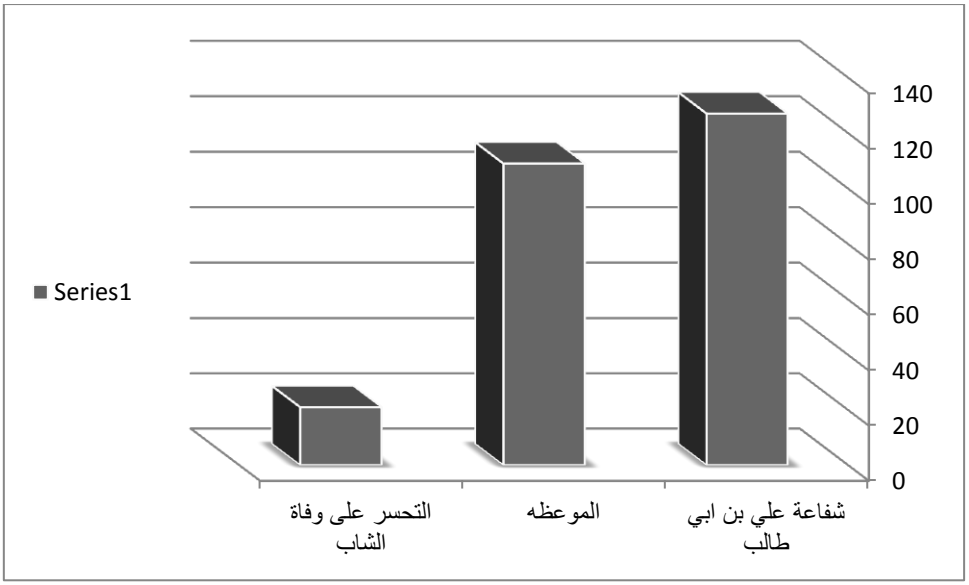

الف ـ شفاعة علي بن ابي طالب

بما أن النجف الاشرف تضم بين جوانحها قبر أمير المؤمنين علي بن ابي طالب، نجد على شواهد القبور أشعارا تعظم الدفن إلى جوار أمير المؤمنين علي حيث يبعث ذلك على الاطمئنان والأمان والرقود الهادئ وهي تخفف العزلة دوحة القبر. منها:

إذا مت فأدفني مجاور حيدر	أبي شبر أعني به وشبير
فلست أخاف النار عند جواره	ولا أتقي من منكر ونكير
فعار على حامي الحمى وهو في الحمى	إذا ضاع في المرعى عقال بعير

ومنها أيضا:

علي حبه جنة	قسيم النار والجنة
وصي المصطفى حقا	امام الانس والجنة

ومنها أيضا:

وطينتي عجنت من قبل تكويني	بحب حيدر كيف النار تكويني

ب ـ الموعظة

هناك بعض الشواهد تضم دبياتا تعظ العابرين وتوصيهم بالتفكير في مآل الأمور وعدم الغرور بالدنيا وما فيها لأنها تغدر ولا تفي. منها:

أرى كل رام قد تطيش سهامه	وسهم المنايا ليس تخطى المراميا
فصبرا جميلات واعتبارا بما مضى	فلا شيء إلا سوف يصبح فانيا

ومنها أيضا:

وكل ابن انثى وان طالت سلامته	يوما على آلة حدباء محمول

ومنها أيضا:

يا قارئ الفاظ السطور	اترک الدنيا ودع فيها الغرور
انني شيخا نظيفا مترفا	ها أنا أصبحت من أهل القبور

ج ـ التحسر على وفاة الشباب

يعتبر موت الشباب من أشد ما يفجع الانسان وهذا ما نجده واضحا على شواهد قبور تضم في طياتها جثمان شاب لم يتمتع كثيرا بالحياة وغادر الدنيا شابا. من هذه الاشعار يمكن الاشارة إلى:

يا قارئ كتابي	ابكي على شبابي
بالأمس كنت حيا	واليوم في التراب

ومنها أيضا:

قف على قبري قليلا ذاكرا	من ربيع العمر أيام الشباب
ذهب العمر فأضحى حلما	وشبابي قد غدا رهن التراب

٢ ـ ٣ ـ شواهد قبور النساء في النجف

شواهد قبور النساء لا تختلف كثيرا عن البعض من حيث الشكل الهندسي للبناء وكذلك النصوص التي كتبت عليها. يبدأ النص المكتوب على شاهد القبر بآيات قرآنية كـ: هو الباقي، سبحان الحي الذي لا يموت، إن وعد الله حق، كل نفس ذائقة الموت، إن المتقين في جنات وعيون، يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية، هو الحي القيوم، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. ثم تليها كلمة «المرحومة»، اسمها و سنة وفاتها.

الآية القرآنية
المرحومة
الاسم
سنة الوفاة

ما يجلب انتباه من يقرأ شواهد قبور النساء بساطتها حيث تخلو من أية معلومات اضافية عدا ما ذكرناه. كما أنها تخلو من بيت شعر يعبر عن تحسر أقربائها لموتها أو رجاءهم بتمتعها بشفاعة الائمة. كما أن شواهد القبور لا تزودنا بالحالة الاجتماعية للمرحومة.

شاهد القبر في شكله هذا يذكرنا بما كان في قديم الزمان، حيث كانت شواهد القبور تضم معلومات قليلة مثل هوية المرحوم/ المرحومة وسنة الوفاة. (ديم وشولر، ٢٠٠٤، ٤٥٧)

٤ ـ المقابر في مدينة قم

مدينة قم مدينة كبيرة ولكن ما يميزها عن سائر المدن الايرانية الكبيرة تمتعها بمكانة دينية مرموقة حيث أنها تضم في جنباتها مقام السيدة معصومة بنت موسى بن كاظم (ع) وحوزة علمية كبيرة خرجت وتخرج عددا كبيرا من علماء الدين الشيعة منهم الإمام الخميني الذي قاد ثورة كبيرة ضد الشاه. (دافيدسن و گليدس، ٢٠٠٢: ٥٠٣) هناك عدد كثير من العائلات الايرانية من مختلف المناطق في ايران، آثرت أن تهاجر إلى مدينة قم وذلك لأسباب دينية ودوافع مذهبية.

ما يلفت انتباه من يزور مدينة قم، اعتبار الناس إياها «عش آل محمد» ورجاء السكان بأن يتمتعوا بشفاعة السيدة معصومة المدفونة في هذه المدينة. هناک من الأشخاص من يوصي بأن يدفن جثمانه/ ها في مقبرة داخل مدينة قم حيث يرجون أن تدركهم شفاعة آل رسول الله.

١ ـ ٤ ـ شواهد قبور الرجال في قم

١ ـ ١ ـ ٤ ـ العبارات العامة

التذكير بالحالة الاجتماعية للمرحوم أو المرحومة أمر هام حيث لا يكاد نجد قبرا يخلو من الإشارة إلى هذا الأمر . فأما غير المتزوجين من الرجال فيكتب على شاهد قبره «جوان ناكام» حيث تشير صفة «ناكام» في اللغة الفارسية إلى عدم تمتع الشاب بملذات الحياة وبشكل خاص الزواج.

يبدأ النص المكتوب على شاهد قبر المرحوم بكلمة «آرامگاه» أي المرقد والتي توحي بأن من واراه التراب هو الآن في رقود تام ولا يعاني من أي شيء. ثم تأتي كلمة توصيفية كـ «الشاب الذي لم يتمتع بملذات الحياة ـ زوج حنون ـ والد حنون ـ كبير عائلة ...» والتي أشرنا إليها وفصلناها تفصيلا.

اسم المرحوم واسم عائلته هو الذي يذكر بعد كلمة «جوان ناكام». يعتبر اسم والد المرحوم، تاريخ ولادته ووفاته من المعلومات التي تضمها شواهد القبور في مدينة قم.

آرامگاه (المرقد)
جوان ناكام (الشاب الذي لم يتمتع بملذات الحياة) ـ همسرى مهربان (زوج حنون) ـ پدرى مهربان (والد حنون) ـ بزرگ خاندان ... (كبير عائلة ...)
هويت متوفى (هوية المرحوم)
نام پدر (اسم والد المرحوم)
تولد (تاريخ الميلاد)
درگذشت (تاريخ الوفاة)

شعر (قطعة شعرية)

٢ ـ ١ ـ ٤ ـ العبارات الخاصة

هناك عبارات ومعلومات تخص بعض القبور دون الأخرى منها ذكر شغل المرحوم والمهنة التي كان يزوالها حيث يعتبر شغله وسام شرف له كما يرى أقرباؤه. يحتل الطب، والتدريس في الجامعة، والهندسة من أهم المهن التي كان يراها الأحياء جديدة بالذكر على شواهد القبور.

الشغل	التكرار
الطب	٣٠
التدريس في الجامعة	٩
الهندسة	٤

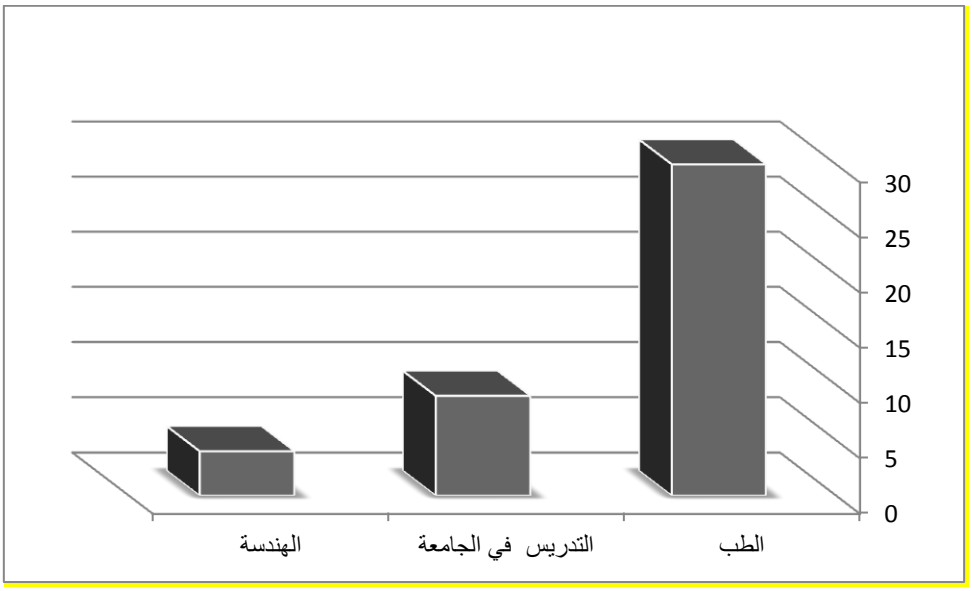

هناك من شواهد القبور ما يتم فيه الإشارة إلى سبب الوفاة وذلك عندما يلتقي أحد ربه شهيدا. هذا لا يعني بأن شواهد القبور تخلو من الإشارة إلى أية أسباب أخرى للوفاة نهائيا. حيث أن الباحثين قد وجدوا شواهد تم ذكر سبب الوفاة فيها ولكن العدد ليس لافتا للانتباه.

سبب الوفاة	التكرار
الاستشهاد في سبيل الله	٢٨
حادث الاصطدام بالسيارة	٤
المعاناة من مرض	٣

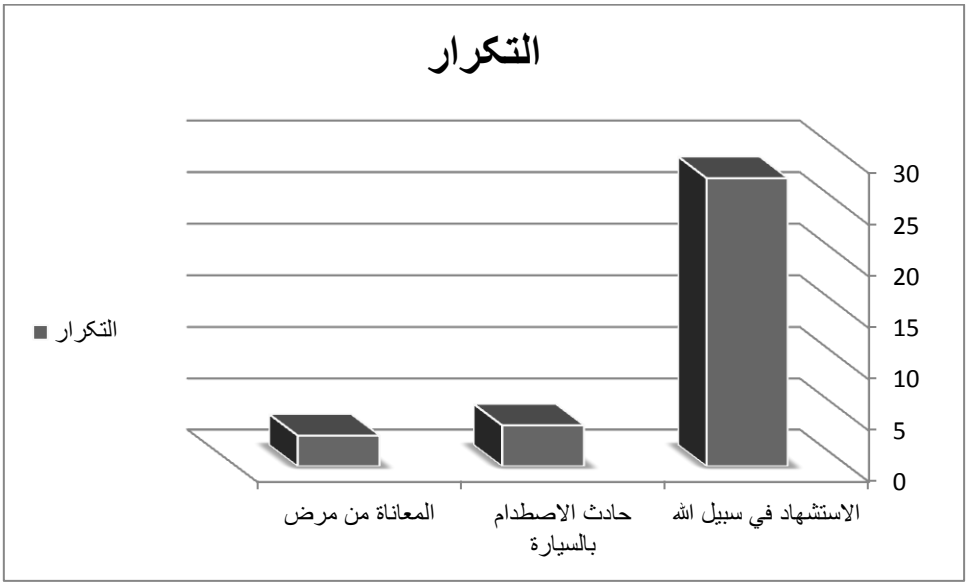

٣ ـ ١ ـ ٤ ـ الأشعار المسجلة على شواهد القبور

الجزء الأخير من شواهد القبور هو بيت أو أبيات شعر تقدم صورة واضحة عن العاطفة التي (كانت تربط) بين المرحوم وأقربائه. عدد قليل من شواهد القبور يضم نصائح حول عدم التعلق بالدنيا وما فيها. تضعنا الإحصاءات التالية في صورة واقع الأشعار.

موضوع الأشعار	عدد الشواهد
الأشعار التي تنم عن حزن الأحياء لفقد المرحوم	٢٢٧
الأشعار التي تشجع الناس على عدم التعلق بالدنيا	٢٣

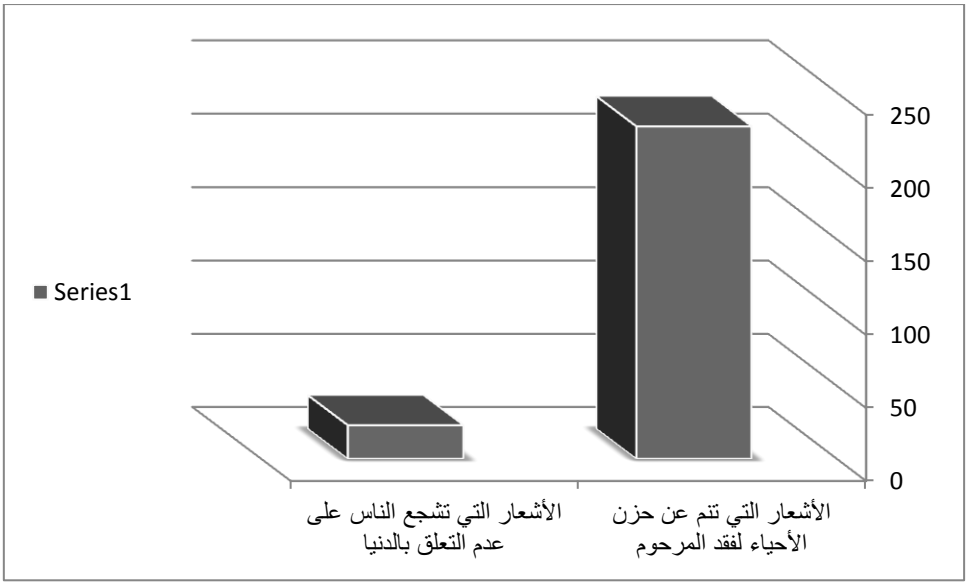

هذه الأشعار نماذج من الاشعار المكتوبة على شواهد قبور الشباب في مدينة قم

ای مادر فرخنده نداری خبر از من	از گردش ایام چه آمد بر سر من
يا أمي السعيدة هل عندک علم بحالي	ماذا صبت علي الأيام
من تازه جوان بودم و اندر چمن حسن	نشکفته فرو ریخت همه بال و پر من
كنت شابا كزهرة الحديقة	لم أزهر حتى تساقطت جميع أوراقي

ومنها أيضا:

پسرم دست اجل زود ترا پر پر کرد	مادرت گریه کنان رخت عزا بر تن کرد
يا ولدي! الموت قضى عليک مبكرا	أمک لبست ثوب الحداد باكية عليک
اهل منزل همگی از غم تو مایوسند	اشک چشم همگان خاک مزارت تر کرد
جعل حزن فراقک الأهل خائبين	بلل ضريحک بدموع الجميع

تركيز النصوص الشعرية المذكورة على شواهد قبور الشباب منصب على تصوير الفراق والحزن حيث تصور هذه العبارات الشعرية عمق العلاقة العاطفية بين المتوفى وعائلته الذين فجعوا برحيله وهم محزونون عليه وإن كان ذكر كلمة الأم يحتل مرتبة أعلى من غيره لأن علاقة الأم بالأبناء تكون اكثر عاطفة.

أما بالنسبة للأشعار التي تكتب على قبور الوالد والأب فيمكن القول بأنها تعبر عن تحسر العائلة لفقدانه والخوف من آلام الحياة بدونه حيث يعتبر الوالد سندا لعائلته. الأشعار التي تسجل على شواهد قبور المتزوجين، فإنها تشير إلى حزن الزوجة والمكانة التي كان يتمتع بها الزوج المرحوم.

٢ ـ ٤ ـ شواهد قبور النساء في قم

كما ذكرنا آنفا أن الايرانيين يهتمون بتذكير الحالة الاجتماعية للمرحوم أو المرحومة. فمن تزوجت من النساء وأنجبت يكتب على شاهد قبرها «مرقد أم حنونة» وإذا كانت متزوجة غير منجبة، فيكتب على شاهد قبرها «مرقد زوجة حنونة» وإذا كانت المرحومة غير متزوجة فيكتب على شاهد قبرها «مرقد الآنسة»

آرامگاه (مرقد)
مادری مهربان ودلسوز (أم حنونة) ـ همسری مهربان (زوجة حنونة) ـ دوشیزه (آنسة)
نام متوفی (هوية المرحومة)
نام پدر (اسم والد المرحومة)
شعر (قطعة شعرية)

٥ ـ المناقشة

مما لا شک فيه بأن هناک تشابهات كثيرة في شواهد القبور الموجودة في مدينتي قم والنجف ولكن هناک فوارق يمكن الانتباه إليها بعد دراسة معمقة لها.

النقطة الأولي التي تظهر عند المقارنة، بدء شواهد القبور في مدينة النجف بآية قرآنية عن الموت والبعث والنشر. كتابة الآيات القرآنية على القبور كانت من التقاليد الإسلامية حيث يعتبر الأمر من انعكاسات الإسلام على الحياة المدنية للأشخاص كما أن لقراءة هذه الآيات القرآنية ثواب يصل للميت. (هالوي، ٢٠١١، ١٥ ـ ١٦)

كتابة الآيات القرآنية أمر لا نجده عند شواهد القبور في مدينة قم وذلک يمكن ارجاعه إلى عمودية الشواهد في مدينة النجف حيث تحصنها من عبور المارة عليها وأفقية الشواهد في مدينة قم حيث تجعلها عرضة لعبور المارة عليها.

تبدأ شواهد القبور في مدينة قم بكلمة «آرامگاه» والتي تعني «المرقد». استخدام هذه الكلمة يبعث طمأنينة لدى عائلة المرحوم والمرحومة بأن من واراه التراب، في رقود تام كما أن كلمة «المرقد» التي يتم استخدامها للكتابة على شواهد القبور في النجف تعبر عن نفس هذا الشعور تجاه الظروف التي يمر بها الموتى. مما لا شک فيه أن كلمة «مرقد» والتي يمكن اعتبارها موروثا ورثه العرب عن آباءهم، تدل على أن المرحوم / ة ترقد في هذا البيت الأبدي ولذلک لا داعي للقلق. فمن الأحرى أن نقول بأن عائلة المرحوم/ ة تعلل أنفسهم باستخدام هذه الكلمة.

اللقب الذي يتم استخدامه قبل التعريف بهوية الفرد، مختلف إلى حد ما حيث أن الالقاب المستخدمة من جانب الايرانيين توحى بالأهمية التي يولونها للحالة الاجتماعية للمرحوم. على سبيل المثال، استخدام كلمة «جوان ناكام» يدل على أن المرحوم لم يتزوج. كما أن في استخدام كلمة «همسرى مهربان» (زوج/ ة حنون/ ة) دلالة على تزوج المرحوم. كتابة عبارة «پدرى مهربان» (والد حنون) و «مادرى مهربان» (أم حنونة) يدل على أن المرحوم كان متزوجا و منجبا. فالألقاب هذه ترشدنا إلى الأهمية التي يعطيها الشعب الايراني للتذكير بالحالة الاجتماعية للموتى. فهذا ما لم نجده عند دراستنا لشواهد القبور في مدينة النجف حيث تكاد شواهد القبور تخلو من أية معلومات تخبرنا عن حالة المرحوم/ ة الاجتماعية.

هناک ألقاب مشتركة في شواهد القبور في كلا المدينتين مثل «الحاج»، «الشريف» و«الشهيد» والتي تحمل صبغة دينية حيث يرى مستخدموها بأن في هذه الألقاب ما يرفع من شأن المرحوم/ ة.

بعد كتابة اسم المرحوم أو المرحومة يتم ذكر اسم الوالد. فالإشارة إلى اسم الوالد على شواهد القبور يعتبر من أقدم التقاليد (وودهيد، ١٩٥٩، ١٥١) حيث لا يكتمل التعريف بهوية المرحوم إلا بعد ذكر اسم والده.

تحديد عمر الشخص عندما وافته/ ها المنية أمر له بالغ الأهمية عند الايرانيين حيث يتم تسجيل سنة الميلاد وسنة الوفاة على شواهد القبور فيتم التحسر على من وافته/ ها المنية في ريعان الشباب. غير أن شواهد القبور في مدينة النجف لا تضم سنة الميلاد. يمكن القول بأن هؤلاء يرون في الموت بداية كتاب جديد حيث لا يهم ما كان قبله غير أن الايرانيين يرون الموت نهاية كتاب بدأ بالميلاد واختتم بالوفاة.

التقويم المستخدم لتحديد سنة الوفاة في شواهد القبور في مدينة النجف هو التقويم الاسلامي أو التقويم الهجري القمري الذي له دلالة دينية. الجدير بالذكر أن التقويم المستخدم لدى الكثير من البلدان العربية في الشؤون الإدارية هو التقويم الميلادي ولكن التقويم الاسلامي يتم استخدامه في تحديد بداية شهر رمضان، حلول عيد الأضحى وما إلى ذلك من المناسبات الدينية وبما أن الوفاة تعتبر حادثا لا يمت إلى الدنيا وشؤونها بصلة فيسجل تاريخ الوفاة حسب التقويم الإسلامي.

غير أن التقويم المستخدم لتحديد سنة الميلاد والوفاة في شواهد القبور في مدينة قم تقويم ايراني ولاستخدامه دلالة قومية. إذا أردنا معرفة الأهمية الدينية للتقويم الإسلامي فمن الأفضل أن ننظر نظرة خاطفة إلى شواهد قبور العلماء في مدينة قم حيث نجد أن التقويم الإسلامي هو التقويم المستخدم لتسجيل تاريخ الوفاة. هناك مظاهر آخرى توحي بأهمية هذا التقويم لدى علماء الدين منها تلقي طلبة العلوم الدينية مساعداتهم المالية من المراجع الدينية نهاية الشهر القمري. (طلاب حوزه علميه چقدر شهريه می گیرند، ۱۳۹۰)

شواهد القبور في كلا المدينتين تضم أشعارا مختلفة بمضامين متنوعة. ما يميز الأشعار المسجلة على شواهد القبور في مدينة قم كونها تدل على مشاعر الأحياء تجاه موتاهم فهناك من الأشعار ما يشير إلى خوف الأحياء من الظروف التي تنتظرهم بعد فقدهم عزيزا لهم. أما الأشعار المسجلة على شواهد القبور في مدينة النجف، تشير إلى رجاء التمتع بشفاعة علي (ع)، نصيحة المارة من المؤمنين والمؤمنات بعدم التعلق بالدنيا وما فيها. هناك من الأشعار ما يدل على تحسر الأحياء لفقدهم شابا ولكنها ليست كثيرة.

النتائج

١ ـ عمودية شواهد القبور أو أفقيتها أثرت فيها حيث نرى شواهد القبور في النجف تبدأ بآية قرآنية ولكن شواهد القبور في مدينة قم تظهر خالية من أي آية قرآنية لكونها أفقية فتكون معرض لعبور المارة عليها وهو غير جائز شرعيا.

٢ ـ شواهد القبور في مدينة قم تدل على أن هوية المرحوم أم المرحومة لا تكاد تعرف إلا في إطار العائلة التي ينتمي إليها. حيث يعرف كوالد أو والدة أو ولد أو بنت أو زوج أو زوجة أو جد أو جدة هذا ما لا نجد له أي أثر في

شواهد القبور الموجودة في مدينة النجف حيث هوية المرحوم أم المرحومة هوية مستقلة عن العائلة التي كان ينتمي إليها.

٣ ـ تكاد شواهد القبور في مدينة قم تعبر عن الحالة الإجتماعية للمرحوم أم المرحومة فإن كان متزوجا أو كانت متزوجة فيكتب على شاهد القبر «مرقد زوج حنون أو مرقد زوج حنونة». عندما يكون المرحوم أم المرحومة منجبا أم منجبة فيكتب على شاهد القبر «مرقد والد حنون أو والدة حنونة». عندما يكون المرحوم أو المرحومة غير متزوجة فيكتب على شاهد القبر «مرقد شاب لم يتمتع بملذات الحياة ـ مرقد الشابة العذراء»

٤ ـ شواهد القبور في مدينة قم تضم تاريخ الميلاد والوفاة معا ولكن شواهد القبور في مدينة النجف تخلو من الإشارة إلى تاريخ الميلاد. يبدو أن رؤية الايرانيين إلى شاهد القبر مختلفة عن رؤية جيرانهم حيث يبدو أن ما يهم العراقيين هو الورقة الأخيرة من كتاب الحياة وهي ورقة الموت. فاولئک يعتقدون أن هذه الورقة لا تمت بأي صلة بما سبقتها من الأوراق. فإن هذه الورقة هي الأولى لكتاب جديد.

٥ ـ عند كلا الشعبين يعتبر موت الشاب مفجعا حيث يعبر الشعر الذي يكتب على الشاهد عن الحزن الذي يبديه عائلة المرحوم الشاب تجاه الموضوع. ولكن ما يثير الدهشة أن الأشعار التي تختارها عائلات المتوفين/ ات في ايران للتسجيل على شواهد قبور أعزائهم تعبر

٦ ـ ما يكتب على شواهد قبور الرجال والنساء في ايران من المعلومات والعبارات تكاد تشبه بعضها بعضا غير أن الوضع مختلف في مدينة النجف حيث نجد حجم المعلومات المسجلة على شواهد قبور الرجال أكثر من المعلومات المسجلة على شواهد قبور النساء حيث أن الاخيرة تخلو من معلومات إضافية وتفتقر إلى بيت شعر يعبر فيه عن تحسر أو ...

في النهاية يمكن القول بأن ما يكتب من العبارات على شواهد القبور في مدينة النجف تشبه تقريرا بحتا ولكن ما تسجل من العبارات على شواهد القبور في مدينة قم تضم في طياتها إشارات واضحة إلى العلاقة العاطفية بين الأحياء والأموات. من ناحية أخرى، لشواهد القبور في مدينة النجف صبغة دينية واضحة غير أن مثيلاتها في مدينة قم ولأسباب عدة تفتقر إلى هذا الوضوح.

المصادر

الحسيني، رباب (٢٠٠٠). مدينة النجف في كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين من كتاب *النجف الأشرف إسهامات في الحضارة الانسانية* (ج ١). لندن: المركز الاسلامي.

خير الله، جمال (٢٠٠٧). *النقوش الكتابية على شواهد القبور الإسلامية.* دسوق: العلم والايمان.

الزيلعى، احمد بن عمر (١٩٨٩). *شواهد القبور في دار الآثار الاسلامية بالكويت.* الكويت: دار الآثار الاسلامية.

سابليه، ادور (١٩٨٥). *ايران مستودع البارود.* (ترجمه عزالدين السراج). بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.

صفی خانی، نینا، احمد پناه، ابوتراب و خدادادی، علی (١٣٩٣). نشانه شناسی نقوش سنگ قبور قبرستان تخت فولاد اصفهان (با تاکید بر نقوش حیوانی شیر و ماهی). *نشریه هنرهای زیبا ـ هنرهای تجسمی*، ١٩ (٤). ٦٧ ـ ٨٠.

طلاب حوزه علمیه چقدر حقوق می گیرند (١٣٩٠). *شیعه نیوز.* تاریخ بازیابی (١٣٩٥/٠٨/٠٢) از: http://www.shia-news.com/fa/news/٢٠٥١١

عبدالحميد، علاء الدين عبدالعال (٢٠١٣). *شواهد القبور الأيوبية والمملوكية في مصر.* الاسكندرية: مكتبة الاسكندرية.

ماسنيون، لوئيس (٢٠٠٧). *خطط الكوفة*. بيروت: دارالوراق.

المس بيل (١٩٧١). *فصول في تاريخ العراق القريب بين سنتي ١٩١٤ و ١٩٢٠.* (ترجمه جعفر الخياط). بغداد: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع.

نقاش، اسحاق (٢٠٠٩). *شيعة العراق*. بيروت: دار المدى.

Alina Felea (٢٠١٣). EPITAPH IN ROMANIAN, RUSSIAN, POLISH AND LITHUANIAN HISTORIOGRAPHY. *Codrul Cosminului*. XIX, No. ١, p. ٧- ٢٤.

Anderson, K.A., Sielski, C. L., Miles, E. A., & Dunfee, A. V. (٢٠١١). Gardens of stone: searching for evidence of secularization and acceptance of death in grave inscriptions from ١٩٠٠-٢٠٠٩. OMEGA: *Journal of death and Dying*, ٦٣ (٤), ٣٥٩-٣٧١.

Crespo Fernández, E. (٢٠١١). Euphemistic conceptual metaphors in epitaphs from Highgate Cemetery. *Review of Cognitive Linguistics*, ٩(١), ١٩٨-٢٢٥.

Diem, W., & Schöller, M. (٢٠٠٤). *The Living and the Dead in Islam: Studies in Arabic Epitaphs.* (Vol. ٢). Wiesbaden-Erbenheim: Otto Harrassowitz Verlag.

Halevi, L. (٢٠١١). *Muhammad's Grave: death rites and the making of Islamic society.* Columbia University Press.

HERAT, M. (٢٠١٤). The final goodbye: The linguistic features of gravestone epitaphs from the nineteenth century to the present. *International Journal of Language Studies, ٨*(٤).

Woodhead, A. G. (١٩٥٩). *The study of Greek inscriptions* (Vol. ٤٢٤). Cambridge: Cambridge University Press.

Kay, D. L., & Gitlitz David, M. (٢٠٠٢). Pilgrimage: from the Ganges to Graceland: an encyclopedia.

Gravestone Inscriptions in Qum and Najaf: A Comparative, Sociolinguistic Study

Dr. Hossein taktabar Firoozjaii, Dr. Mahdi Moqadasi Nia, Rahim Al-Darraji

The present study concerns a comparative sociolinguistic study of the similarities and differences between the gravestone inscriptions in the two cities of Qum, Iran, and Najaf, Iraq. The present descriptive-cum-analytical study has been conducted based on studying ١،٠٠٠ gravestone inscriptions of the commoners, half of which belong to Najaf, and the rest to Qum. The research findings indicate that the Najaf inscriptions render merely a brief report , replete with Islamic religious advice, all devoid of any hint regarding the deceased person's social status. In this regard, the Najaf inscriptions make just a reminiscent of former classic and heritage-based Islamic evidence. In contrast, those of Qum imply the grief and bereavement of the dependants of the deceased person, all indicative of their profound sorrow for the deceased person. Here the religious traces are fainter by far compared with those of the former category, although not entirely without any such hint.

Keywords: Gravestone Inscriptions, Death, Dar-Al-Salam, Al-Najaf, Qum